علاقة إقليم جنوب غرب شبه الجزيرة العربية بشرق أفريقيا

حتى نهاية العصر الحجري الحديث

محمد طه محمد الأمير
باحث دكتوراه - قسم التاريخ والحضارة - كلية اللغة العربية بالقاهرة - جامعة الأزهر - مصر
alamer2951982@gmail.com

ا.د/ عائشة محمود عبد العال
أستاذ حضارة وآثار مصر القديمة- كلية البنات للآداب والعلوم والتربية- جامعة عين شمس - مصر
Aisha_abdelaal@women.asu.edu.eg

ا.م.د/ أحمد رفعت عبد الجواد
أستاذ تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم المساعد- قسم التاريخ والحضارة- كلية اللغة العربية بالقاهرة- جامعة الأزهر – مصر
dr.ahmed.refat2020@gmail.com

أ.د/ طلعت أحمد محمد عبده
أستاذ الجغرافيا الطبيعية- قسم التاريخ والحضارة- كلية اللغة العربية بالقاهرة - جامعة الأزهر - مصر
Talaat abdo@gmail.com

المستخلص :

لم يكن في مقدور الجزيرة العربية أن تعيش في عزلة إبَّان عصور ما قبل التاريخ؛ ويرجع ذلك إلى موقعها الجغرافي المتميز، إذ كانت على اتصالٍ وثيقٍ بجيرانها المتاخمين لها داخل وخارج الجزيرة العربية.

بدأت الاتصالات الخارجية بين شبه الجزيرة العربية وبين الحضارات المجاورة تتبلور خلال الفترة ما بين ٥٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ سنة ق. م، ففي الوقت الذي كانت فيه المنطقة الشرقية قوية الاتصال بحضارة ما بين النهرين (حضارة العبيد) نجد أن المنطقة الغربية قد أقامت– أيضًا- صلات مبكرة مع وادي النيل عن طريق البر عبر صحراء سيناء، إضافةً إلى طريق البحر، فضلًا عن علاقات إقليم جنوب غرب شبه الجزيرة العربية مع شرق أفريقيا.

وقد أخذت المعطيات الأثرية تتوافق في فترة العصر الحجري القديم بمرحلتيه الأولدوانية والآشولية بين إقليم جنوب غرب شبه الجزيرة العربية مع ما هو معروف في شرق أفريقيا، حيث وجدت فيها شواهد تدل على انتشار أقدم السلالات البشرية. وهنا يتضح الدور الذي لعبه إقليم جنوب غرب شبه الجزيرة العربية كمعبر لانتقال الجماعات البشرية المبكرة بين شرقي أفريقيا وآسيا.

الكلمات المفتاحية:

شرق أفريقيا – العصر الحجري- الجزيرة العربية – الحضارة الأفريقية .

أولًا: أهمية موقع شبه الجزيرة العربية وشرق أفريقيا:

يشغل إقليم جنوب غرب شبه الجزيرة العربية من منظور الجغرافيا الحيوية والعمليات التطورية مكانة بارزة (Petraglia, 2003, 174)، وتعد شبه الجزيرة العربية بصفةٍ عامةٍ جزءًا من أفريقيا، وهي ذات معالم جيولوجية ومناخية مميزة (Tosi, 1986, 463) ، كما يرتبط الهامش الشرقي لساحل البحر الأحمر بتاريخ جيولوجي طويل، وذلك بدءًا من ترسب ما قبل الكمبري، حيث الصخور الرسوبية والبركانية (Brown, 1970, 76).

(خريطة ١)
توضح موقع إقليم شرق أفريقيا المقابل لجنوب غرب شبه الجزيرة العربية على الخريطة
(هوساوي، ٢٠١٧ ، ص٥٢)

ومن ناحيةٍ أخرى فتقع شبه الجزيرة العربية في أقصى جنوب غربي آسيا، وقد كان لهذا الموقع أهميةً تاريخيةً، حيث تتوسط قارات العالم القديم، فهي تتصل بالبر مع قارات العالم القديم آسيا وأفريقيا وأوربًّا اتصالًا مباشرًا أو غير مباشر، فاتصالها بالشمال الأفريقي كان عن طريق شبه جزيرة سيناء، وهو ما عرف باسم المدخل الحضاري الشمالي الشرقي لمصر، ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد، بل امتد هذا الاتصال إلى أقصى الغرب، ونحو الجنوب إلى وسط أفريقيا، كما اتصلت عن طريق باب المندب بالساحل الشرقي للقارة الأفريقية، وعن طريق البحر المتوسط بجنوب أوربًّا (بكير، ٢٠٠٠، ص٤٢٤- ٤٢٥).

ولهذا كان لها ميزة الاتصال الحضاري أو المكاني في أطرافها الشمالية والجنوبية، بحيث كانت مداخل حضارية مفتوحة، تمامًا كما كانت مداخل مصر، الأمر الذي ساهم في بزوغ فكرة الاتصالات المكانية لشبه الجزيرة العربية، فجعلها مكان المرونة للاتصالات الحضارية.

ولقد تجسد ذلك في موقع جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، حيث كان له بالغ الأثر في اتصال بعض مناطق الحضارات القديمة بسكانه، ومن المرجح أن وجود هؤلاء السكان أو تلك الجماعات البشرية عند مخرج البحر الأحمر جعلهم يغامرون بالخروج إلى البحر (عصفور، ١٩٨٧م ، ص١٤٥)؛ حيث يمثل طريق جنوب غرب شبه الجزيرة العربية- القرن الأفريقي همزة وصل قديمة بين قارتي أفريقيا وآسيا (Yosef, 1994, 211). فلقد تمتع الممر المائي (باب المندب) بمكانةٍ مهمة جدًا منذ القِدم؛ حيث يربط بحرين، (وهما (بحر العرب) و(البحر الأحمر)، ويابسين وهما (شبه الجزيرة العربية عند رأس المنهال) و(شرق أفريقيا عند رأس سيان) (Derricourt, 2005, 122). (خريطة١).

لقد اقتصرت عملية الاتصال بين القارات قديمًا- من خلال المفهوم الجغرافي البيئي- على الممرات الضيقة، وأكد هذا الأمر؛ ذلك التشابه الثقافي بين العديد من المناطق، فعلى سبيل المثال تعد مناطق القرن الأفريقي ووادي النيل وشبه الجزيرة العربية من أبرز الأمثلة التطبيقية على ذلك (Beyin, 2006, 9). فقد أظهرت كل من البحوث الحيوية المرتبطة بالبقايا الحيوانية والنباتية في كل من إقليمي جنوب غرب شبه الجزيرة العربية وشرق أفريقيا وجود العلاقات التي تمت بين الإقليمين عن طريق الممر الرئيس من إثيوبيا غربًا إلى الركن الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية شرقًا، وذلك أثناء الهجرات البشرية التي ارتبطت بالعلاقات بين شمال غرب أفريقيا وجنوب غرب أوربًّا عن طريق الممر المائي (جبل طارق)- حديثًا- إلى غير ذلك من العلاقات بين الكتل اليابسة المتجاورة على مستوى العالم أجمع، وهذه هي ما عرفت حضاريًا باسم المعابر الأرضية Land Bridges فيما بين قارات العالم القديم والجديد (Yosef, 1987, 31) .

أما منطقة شرق أفريقيا فتعد منطقة تجمع عمراني بشري، وهي تشبه في ذلك الأمر إقليم بلاد الشام. وتشمل المنطقة- حاليًا- دول إثيوبيا والصومال وكينيا وتنزانيا وأوغندا، ولكن القرن الأفريقي يقتصر على أثيوبيا والصومال وجيبوتي (Clark, 1988, 237) ، وتعد حضارات شرق أفريقيا من أقدم الحضارات التي يمكن لعلماء الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا وما قبل التاريخ أن يتحدثوا عنها (شعبان، ١٩٧٩، ص١٨٤)، فمن خلال المستوطنات والمواضع الحضارية التي تم الكشف عنها، والتي أفادت جملةً في معرفة البيئات السائدة آنذاك، يمكن التوصل إلى صورة حياة الإنسان في تلك العصور القديمة، وذلك استنادًا على الموروث الثقافي للإنسان في تلك العصور (Beinart, 2003, 85).

ويعد التاريخ الحضاري للقارة الأفريقية عامةً وساحلها الشرقي خاصةً من الأهمية بمكان، فقد تمخضت حركة الكشوف الأثرية فيها بعدما قامت بعض جامعات بريطانيا بالبحث في هذا الاتجاه، مع ملاحظة سيرها في خُطى وئيدة بعض الشيء، مقارنةً بما كان قد وصلت إليه حركات المسح الأثري في أماكن متعددة (Mitchell, 2005, 57) . وعلى الرغم من ذلك فلم يجد تاريخ أفريقيا في عصورها القديمة من الاهتمام الذي يليق به كتاريخ قارة من أقدم قارات العالم القديم، فقد غطى تاريخ الاستعمار الأوروبي لها على تاريخها القديم بدرجة تعطي القارئ صورة تفيد بأن تاريخ هذه القارة يبدأ بمجرد وصول الاستعمار الأوروبي لها (الناصري، ١٩٩٠، ص٣).

ومما جعل سواحل أفريقيا الشرقية مقصد العرب قديمًا مجاورتها لها، فضلًا عن ارتباطها بحركات الكشوف البرية والبحرية المصرية لسواحل شرق أفريقيا واكتشاف مجاهلها، فقد كانت المصالح المصرية في القرن الأفريقي ترتبط دائمًا بمصالحها في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، بحيث اعتبر بعض الباحثين أن (بلاد بونت) التي كان المصريون يتاجرون معها قديمًا كانت تشمل المناطق الواقعة على جانبي مضيق باب المندب سواء من الجانب العربي أو الجانب الأفريقي (الناصري، ١٩٩٠، ص٣)، وهذا يدل ضمنًا على مدى اتصال جنوب غرب شبه الجزيرة العربية بشرق أفريقيا ووحدتهما الإقليمية.

ثانيًا: الاتصال بين شبه الجزيرة العربية وشرق أفريقيا:

تتمتع شبه الجزيرة العربية بصلة حضارية وثيقة بالجانب الشرقي لقارة أفريقيا الذي يقابلها، فالشبه الكبير بينها من حيث الظاهرات الطبيعية والمناخية والإنسانية والاجتماعية وبين الصحراء الأفريقية يدفعنا

إلى تسمية هذه المنطقة بـــ (أفريقيا الآسيوية) وحفرة البحر الأحمر الكبيرة التي تفصل القارة الأفريقية عن طرفها الآسيوي تقسم الصحراء إلى قسمين كما يفعل وادي النيل في مصر(بيربي، ١٩٦٠، ص٢٠).

وهناك توجه يذكر بأن أقدم اكتشاف لإنسان العصر الحجري القديم في شرق أفريقيا وتحديدًا في منطقة زائير وإثيوبيا كان قبل مليوني سنة مضت، بحيث استطاع الإنسان الأول أن يهاجر منه إلى الجزيرة العربية عبر طريقين كان أحدهما بحريًا والآخر بريًا، الأول هو طريق باب المندب، وقد أوضحت الدراسات الجيولوجية بأن هذا المضيق كان في وضع أقل اتساعًا من الوقت الحاضر، فقد كان قياس عرضه يقل عن ٨ كم تقريبًا، وربما تمكن الإنسان حينها ومن خلال هذا العمق أن يجتاز هذا المضيق عبر وسيلة اتصال هي قارب خشبي بدائي، أما الطريق الثاني فهو صحراء مصر الواقعة شرقي النهر والممتدة حتى شبه جزيرة سيناء (الدويش، ٢٠٠٨، ص٩).

وقد تمكنت الجماعات البشرية خلال تلك المرحلة من صناعة أدوات الحرب والقتال من موادٍ مختلفةٍ كالصخور والعظام والخشب، كما قاموا بقطع المسافات الطويلة دون خوفٍ من وحوش الصحراء، وهذا ما يؤكد افتراضات ظهور مواقع كثيرة على هذا الطريق تعود في تأريخها إلى الحقبة الآشولية، كما يؤكد ذلك الافتراض هجرة الإنسان من أفريقيا إلى شبه الجزيرة العربية عبر جزيرة سيناء. أما في اليمن فقد عثر على أدوات تعود إلى العصر الآشولي والذي يؤرخ بالفترة ٧٠٠,٠٠٠ سنة من الوقت الحالي على حافة وادي حضرموت، مما يؤكد أن إنسان تلك الحقبة وجماعاته البشرية قد انتقلوا من شرق أفريقيا إلى الجزيرة العربية واستوطنوا مناطق متفرقة منها، وتم ذلك من خلال مضيق باب المندب أقصى جنوب البحر الأحمر (الدويش، ٢٠٠٨، ص٩)؛ حيث كانت نقطة العبور أضيق مما هي عليه الآن؛ وذلك بسبب الذبذبات المائية التي كانت تجعل الممر سهل العبور بريًا، في فترات العصر الجليدي، وهبوط منسوب البحار العالمية آنذاك (Andrew, 2011, 387).

إن الآثار التي كشف عنها في مناطق متعددة في جنوب وجنوب غرب شبه الجزيرة العربية والتي تمثل حضارات عصور ما قبل التاريخ لا تخرج عن كونها (آلات صوانية) تشبه ما وجد في شرق أفريقيا من العصر الحجري القديم، الأمر الذي أدى إلى افتراض نظريتين:

النظرية الأولى: تشير إلى أن الحضارة انتقلت من شبه الجزيرة العربية إلى الساحل الأفريقي.
النظرية الثانية: وتشير هذه النظرية إلى اتجاه العكس من سابقتها، حيث تفترض وجود مركز إشعاع حضاري في شرق أفريقيا، انتقلت منه ثقافة الأدوات الصوانية Flint- Implements إلى جنوب غرب شبه الجزيرة العربية وغيرها من الأقاليم المتاخمة (شكل ١) (عصفور، ١٩٨٧، ص١٤٧).

(شكل ١)
أدوات حجرية مصنوعة من الصوان
(المعمري، ٢٠٠٥، ص١٠)

وهنا تجدر الإشارة إلى أن حضارات الساحل الشرقي لأفريقيا قد مرت في عصورها الحجرية بالعديد من الأدوار والمراحل، تطورت خلالها صناعة الأدوات الحجرية تطورًا ملحوظًا (David, 2005, 177) . فعلى الرغم من العلاقات التي كانت تربط الحبشة بالجزيرة العربية خلال العصر الحجري الحديث، إلا أنه لم يعثر على مخلفات تؤكد صحة هذا الاعتقاد بالقدر الكافِ، سوى ما وُجد في منطقة القرن الأفريقي؛ وربما يرجع السبب في ذلك إلى أن الوقت الذي حدثت فيه الهجرات النيوليثية من آسيا، كان فيه الجفاف يسيطر على معظم تلك السواحل الأفريقية، مما حال بدوره قيام أي نوع من أنواع النشاط الاقتصادي في تلك البقعة (لنتون، ١٩٦١، ص١٥).

وبعد انتهاء فترة البلايستوسين بدأت الجماعات البشرية في شرق أفريقيا تُرسي دعائم الحياة البشرية آنذاك، حيث مهَّد لها المناخ عندما أصبح ملائمًا للقيام بتلك الأعمال كخطوة إيجابية أولى نحو وضع حجر الأساس للمجتمع المستقر (Stahl, 2005, 232) . ومما يشهد لهذا أن البقايا الأثرية في الجزء الأكبر من سواحل شرق أفريقيا دلت على أن هذه المجتمعات قد عرفت الزراعة، وصناعة الفخار في وقتٍ مبكرٍ، خاصةً سواحل تنزانيا، وهو ما عرفته الدراسات الأركيولوجية باسم صناعة المستأنسات The domesticated industry، أو علامات التغير البيئيSigns of Environmental Domestication (Philipson, 1993, 78).

ومن الأمور المشكوك فيها أن جميع سكان شرق أفريقيا إبَّان العصر الحجري الحديث قد اعتمدوا على الإنتاج الرعوي في مطلع تلك العصور (Chami, 2003, 76) ، إلا أنه بعد أن تطورت الحياة وتطورت معها الطرق الفنية اللازمة لقيام الاقتصاد الرعوي عندهم، بدأت الهجرات من الجزيرة العربية تشق طريقها صوب شرق أفريقيا (القرن الأفريقي)، وقد ظل الأمر كذلك إبَّان الفترة المتأخرة من عصور ما قبل التاريخ (لنتون، ١٩٦١، ص١٦).

ثالثًا: جوانب الاتصال الحضاري:

يعد هذا الجزء بمثابة تحديد للأقاليم ذات الاتصالات الحضارية بشبه الجزيرة العربية، فقد خضعت شبه الجزيرة العربية وشرق أفريقيا إلى العديد من التغيرات الاقتصادية والمقومات الاجتماعية، فضلًا عن التقلبات البيئية خاصةً المناخية؛ ويرجع ذلك إلى الاتصال الطبيعي والبشري إبان العصور القديمة (Michael, 2009, 187).

فهناك من يصف حضارات شرق أفريقيا التي تتميز بالعراقة في القدم بأن أصحابها كانت لهم طقوس خاصة في حرفة الصيد، مثل ارتداء الأقنعة، إضافةً إلى العصي التي كانوا يحملونها، والخناجر التي كانوا يحفرونها؛ حتى يسهل عليهم أمر مطاردة الفريسة بهدف اقتناصها، فضلًا عن ملابسهم التي كانت عبارة عن مآزر من الجلد وأغطية تستر العورة (Baumann, 1940, 131).

ويعد العصر الحجري الوسيط (الميزوليثي) في شرق أفريقيا- أيضًا- عصر التحولات الاقتصادية، وذلك مثل بقية أنحاء العالم القديم، حيث تحول الإقليم من الاقتصاد القائم على الحرف الأولية أو البدائية كالقنص والصيد والجمع ثم الالتقاط إلى حياة الاستقرار وإنتاج الغذاء من حرفتي الزراعة واستئناس الحيوان (Clark, 1988, 236-237) ، وما تبع ذلك من انتشار الحيوانات كالماشية والأغنام والماعز والإبل، إضافةً إلى

بعض أنواع الطيور وذلك مثل الحيوانات ذاتها المنتشرة في إقليم جنوب غرب شبه الجزيرة العربية (Chami, 2001, 84).

وقد تطورت عمليات الرعي إبَّان العصر الحجري الحديث في شرق أفريقيا إلى درجة متقدمة، نتج عنها تحرك سكاني كبير، وقد ساعدت الظروف البيئية آنذاك على هذا الأمر (Bower, 1991, 50)، وهذا ما يدعو إلى القول: بأنه ارتبط التطور الاجتماعي والثقافي في إقليم شرق أفريقيا إلا بعد سيادة العصر الحجري الحديث على الإقليم بصورةٍ عامةٍ (Robertshaw, 1983, 5) .

ويرى بعض علماء الحفريات أن الحضارات الأفريقية في العصر الحجري الحديث قد نبعت أصولها من جنوب غرب آسيا؛ ويرجع ذلك إلى تطابق الناحية التكنولوجية في كليهما بشكل متشابه، خاصةً في قيام اقتصادهما على وجود النباتات والحيوانات المنتمية إلى جنوب غرب آسيا، إلا أن هذا التشابه لا يرقى إلى درجة الدليل الحيوي القاطع والمقنع بوجود نوع من الاتصال بين الإقليمين في تلك الفترة (لنتون، ١٩٦١، ص١٣- ١٤)، في حين يذكر اتجاه آخر بأن إدخال المحاصيل الرئيسة في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية كان من أصل أفريقي (Fuller, 2006, 15). وهنا يتضح لنا وجود سلسلة من المشكلات التي لا يمكن حلها دون الاستزادة من عمليات الحفائر، والبحوث المنظمة. إذن فقد أثبتت الدراسات الحيوية أن الاتصالات كانت واضحة بين الإقليمين، الأمر الذي يمكن إثباته أركيولوجيًا من خلال توالي الحفائر العلمية ونتائجها بشكل منتظم.

وما يهمنا في هذا السبيل ليس من كانت له قدم السبق في نشأة الحضارة عنده أولًا، ومن ثمَّ تصديرها إلى الجانب الآخر، بل الشاهد في هذه القضية برمتها هو هل كانت هناك علاقة حضارية بين إقليم جنوب غرب شبه الجزيرة العربية وإقليم شرق أفريقيا أم لا؟

وللإجابة على هذا التساؤل يمكن القول: بأنه من خلال ما تقدم يتضح لنا التشابه القوي بين سكان إقليم جنوب غرب شبه الجزيرة العربية وسكان مناطق شرق أفريقيا، من زوايا فنون مرحلة حياة الجمع والالتقاط والصيد والقنص، فضلًا عن تقسيم العمل، وتشييد المساكن المقببة (شعبان، ١٩٧٩، ص٢١٨)، مما يؤكد حقيقةً مؤداها أنه قد كان هناك نوعٌ من الصلات الثقافية الأساسية بين الإقليمين في وقتٍ مبكر (Kusimba, 2005, 109).

ولعل السبب الرئيس في ذلك يكمن في ظروف أخرى بعيدة عن الاتصال الثقافي أو الهجرات المتبادلة، وإنا يكمن بالتحديد في التطابق الكبير في الأحوال الطبيعية (المناخية والبيئية) التي دلت عليها نتائج الأبحاث وأعمال الحفر (عبد الله وآخرون، ١٩٨٤، ص٨١).

وجاء هذا الاستنتاج نتيجة تحليل علمي للتربة المصاحبة للطبقات الترسبية في مواقع الإقليمين، حيث اتضح أن فترات مطيرة تليها فترات جفاف نسبي قد تعاقبت عليهما على مدى ألفي سنة وهي فترة الاستيطان، ويستنتج من هذا أن عوامل المناخ كانت ذات تأثير بالغ الأهمية في إمكانية المعيشة آنذاك، ويعني هذا أنه ربما اضطرت تلك الجماعات البشرية إلى الهجرات المتتالية نحو بيئات أكثر صلاحية، ولذا فمن المحتمل أن أقوام العصور الحجرية في تلك الأقاليم قد عاشوا تحت وطأة أحوال مناخية وبيئية اضطرتهم للارتحال الموسمي أو شبه الموسمي إلى مناطق شمالية أكثر ملاءمة للعيش(عبد الله وآخرون، ١٩٨٤، ص٨٢).

وخلاصة القول: فإن دراسات (فيشر) التي نشرت في كتابه الموسوم بالشرق الأوسط، والذي صدر عام ١٩٧٨م، تؤكد ببساطة شديدة وجود ارتباط واضح بين جنوب غرب شبه الجزيرة العربية وشرق أفريقيا، وذلك من خلال ما يلي:

- ❖ أنه ذكر أن الإقليمين كأنهما إقليم طبيعي واحد، تم انفصاله إلى قسمين.
- ❖ أنه يؤكد على ما سبق من خلال أدلة حيوية (نباتية، وحيوانية) ما زالت توجد بالإقليمين.
- ❖ أنه يبرز ذلك كله من خلال تشابه المجموعة البشرية في الصفات الجنسية، ففي إقليم جنوب غرب شبه الجزيرة العربية توجد مجموعات بشرية تحمل الملامح الخاصة بالمجموعة الزنجية كلون البشرة، وشكل الشعر، وطول القامة، إلى آخر ذلك من صفات.
- ❖ إن المجموعات البشرية ذات مساكن من نوع خاص (مساكن مشيدة من الأفرع النباتية أو غصون الأشجار)، كذلك شكلها العام يشبه الناقوس، بحيث تكون في هيئة هرمية أو مقببة، فإذا ما تساقطت عليها الأمطار انسابت على أطرافها وتجمعت في أوعية فخارية لأغراض الشرب أو الأغراض المنزلية كطهي الطعام.
- ❖ وجود الحيوانات المتسلقة (كالقردة من نوع البابون)، وهي تشيع في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، وذلك في المجتمعات الطبيعية في جنوب غرب المملكة العربية السعودية (عبده، ١٩٩٧، ص٥٦).

رابعًا: نماذج الاتصال الحضاري:

ربما كانت هناك ثقافتان فقط ممثلتان في شرق أفريقيا، وهما: ثقافة العصر الحجري القديم الأدنى، وثقافة العصر الحجري الحديث الأعلى . وعلى أية حال فلقد شكلت تكنيكات صناعة الأدوات الحجرية في شرق أفريقيا بدايةً من النواة الحجرية ثم العديد من الأدوات كالسواطير والمكاشط الطرفية والجانبية، والشفرات- أيضًا- إلى غير ذلك من الأدوات(Cole, 1954, 1032). ومن هذا المنطلق يمكن القول: بأنها مرت بثلاث مراحل تكنيكية صناعية هي:

- ❖ صناعة النواة Kernel industry.
- ❖ صناعة الشظايا Splinters making.
- ❖ صناعة النصال Arrowhead making.

وكان البازلت (حجر زجاجي بركاني أسود) المنحوت موجودًا ابتداءً من العصر الحجري الحديث حتى الحقب التاريخية، ولقد تميز هذا الحجر بإمكانية نحته بسهولة، وكان متوافرًا حول البحر الأحمر في المملكة العربية السعودية وفي اليمن، وفي أفريقيا في كل من أثيوبيا وإريتريا من الجانب الأفريقي، وقد جعل الطابع الفيزيائي الكيميائي من البازلت مَعْلمًا رئيسًا لطرق المواصلات والتبادل، كما أثبت ذلك (زارينس) في فترة الثمانينيات، وبهذا فقد قدَّم الشرق الأفريقي نموذجًا رائعًا خلال عصور ما قبل التاريخ من حيث استخدام أصحاب حضاراته للحجر الزجاجي البركاني في صنع أدواتهم (Gabel, 1965, 42- 44) ، وهذا النوع من الأحجار هو ما يعرف داخل شبه الجزيرة العربية باسم الحرات.

وما زال البازلت المنحوت بالطَرْق وليس بالضغط- كما درجت العادة في الشرق الأوسط والبحر المتوسط- متداولًا حتى الآن ولكن بكمياتٍ قليلةٍ، ويلاحظ وجوده في أراضٍ شاسعةٍ جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، باعتباره دليلًا على مجموعات حضارية ثقافية قديمة كانت تقطن تلك المناطق (الغبان وآخرون ، ٢٠١٠، ١٤٠).

(أ) موقع (المندفن) في جنوب غرب شبه الجزيرة:

إن منطقة المندفن في شرقي نجران، وصحراء الربع الخالي، قد شهدتا سلسلة متتابعة من البحيرات في عصر الهولوسين، وكانت ذروتها ما بين ١٠,٠٠٠ و ٦,٠٠٠ سنة قبل وقتنا الحاضر، وكان هذا العصر رطبًا ومطيرًا، لكنه لم يكن أكثر في كمية أمطاره من البلايستوسين، وبدأت في هذا العصر- أيضًا- ظروفًا مناخيةً شديدةً من حرارة وجفاف وارتفاع في تكوين الكثبان الرملية، وكانت القطع الأثرية الصوانية المصقولة لتلك العصور الحجرية متزامنة مع فترات حضارات شرق أفريقيا (شكل ٢) (McClure, 1984, 65). أما في الفترات التالية، وخاصةً في فترة العصر الحجري الحديث فقد كانت هناك شبكات تبادل في بعض مواقع جنوب غرب شبه الجزيرة العربية كموقع المندفن هذا (Khalidi, & Others., 2013, 60). إذن فإن هذا الموقع يرتبط بالربع الخالي، خاصة في جانبه الغربي.

(شكل ٢)
مجموعة من الشظايا والرقائق والنوى شكلت بأسلوب الليفلوازي من العصر الحجري القديم الأوسط جمعت من موقع المندفن
(زارينس وآخرون، ٢٠١٨، ص١٤٤)

(ب) موقع (الأولدوان) في شرق أفريقيا:

أكدت الدراسات الأثرية أن ثقافات شرق أفريقيا قامت على أكتاف سكان الإقليم الأصليين، ولم يقم بها سكان آخرون (Robertshaw, 1983, 4) . ويشهد لهذا الرأي ما ذهب إليه البعض من القول: بأن شرق القارة الأفريقية يحمل الأصول البيولوجية والثقافية التي قام بمدها إلى الأقاليم الحضارية المجاورة، ولقد وجدت هناك العديد من الأدلة التي تدعم هذا التوجه ، وذلك مثل مجموعات القطع الأثرية ذات الحواف المصممة لعمليات القَطْع، إضافةً إلى الأجسام الشبه كروية (Clark, 1975, 176). (شكل٣).

(شكل ٣)

نماذج لقطع حجرية من الثقافات الأولدوانية والآشولية والموستيرية التي تعود إلى العصر الحجري القديم في شبه الجزيرة العربية

(الغبان وآخرون، ٢٠١٠، ص١٣٤).

الأولدوان هي أول حضارة عرفها الإنسان من حيث القدم، وقد اكتشفت في مجرى الأولدوفاي في تنزانيا بشرق فريقيا وحوض أومو بأثيوبيا، وترجع في تأريخها إلى حوالي مليوني عام، ولقد تميزت هذه الحضارة بأدوات حجرية كان يستخدمها الإنسان في ذلك الوقت، وقد تمثلت في المفارم الكبيرة، والقواطع اليدوية، والأقراص الحجرية، والمكاشط الكبيرة، فضلًا عن أدوات متعددة الأوجه (كباوي، ١٩٩١، ص١٨).

وبالنظر إلى التشابه بين أنماط الأدوات الحجرية الموجودة في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية من ناحية التكرار والحجم مع تلك الموجودة في موقع الأولدوان المتطور في شرق أفريقيا، اعتبر أن هناك اتصال حضاري منذ ما يزيد عن مليون عامًا (خريطة ٢)، إلا أنه يوجد اعتقاد بوجود اختلافات بين الصناعات في إقليم جنوب غرب شبه الجزيرة وشرق أفريقيا، وذلك نتيجةً لـ:

- اختفاء بعض أنماط الصناعات.
- اختلاف طرق الإنتاج، وذلك من حيث استخدام الأساليب التكنولوجية في صناعة الأدوات الحجرية، مثل استخدام النواة الحجرية، في مقابل استخدام عظام الحيوانات الكبيرة في عمليات الطَرق.
- اختلاف حجم قطع الآثار، وذلك نظرًا للاختلاف الوظيفي للأدوات ذاتها، أو لتفضيل بعض عناصر المواد الخام عن الأخرى.

اختيار العنصر البشري فيما يفضله من مواد خام، سواء كانت تلك من الحمم والكوارتز أو غير ذلك (هويلن و بيز، ١٩٩٠، ص٦٠- ٦١).

الخاتمة ونتائج البحث:

ومما تقدم يرى الباحث أن إقليم جنوب غرب شبه الجزيرة العربية يمثل وحدة مع شرق أفريقيا بناءً على العناصر السابق ذكرها وأن المعطيات الأثرية في فترة العصر الحجري القديم في إقليم جنوب غرب شبه الجزيرة العربية تتوافق مع ما هو معروف في شرق أفريقيا، حيث وجدت فيها شواهد تدل على

انتشار أقدم السلالات البشرية. وهنا يتضح الدور الذي لعبه إقليم جنوب غرب شبه الجزيرة العربية كمعبر لانتقال الجماعات البشرية المبكرة بين شرقي أفريقيا وآسيا. ويطيب للباحث أن يذكر أهم النتائج التي توصل إليها من خلال هذه الدراسة.

- ❖ تعد الأدوات المصنوعة من مادة غير متوفرة في الموقع الأثري، أو في المنطقة المحيطة به، أو المصنوعة وفق طراز يختلف عن طراز الصناعة المحلية، تشير إلى العلاقات بين الأقاليم.
- ❖ هناك تجانس وتقارب في الأصول الزراعية التي كانت تُزرع في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية وفي القرن الأفريقي، ولم يقتصر الأمر على الأنواع الزراعية فقط، بل شمل– أيضًا- بعض أنواع الحيوانات ذات الظلف كالماشية والأغنام والماعز.
- ❖ رغم الاعتماد على الأدلة الأثرية في تأريخ حياة الإنسان القديم في شرق أفريقيا، إلا أن حياته يكتنفها بعض الغموض.
- ❖ استمرت الصناعات الحجرية ذات الطابع النيوليثي في شرق أفريقيا فترة طويلة من الزمن إلى أن حلَّت محلها الأدوات المعدنية التي ظهرت في العصور اللاحقة.

المراجع:

أولًا: المراجع العربية والمعربة:

- بيربي، جان جاك، (١٩٦٠م)، جزيرة العرب، ط١، ترجمة: نجدة هاجر، وسعيد الغز، بيروت- لبنان، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر.
- زارينس، يوريس وآخرون، (١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م)، "تقرير أولى عن الاستطلاع الميداني في جنوب غربي المملكة العربية السعودية"، أطلال، العدد الخامس والعشرون، حولية الآثار العربية السعودية، الرياض- المملكة العربية السعودية، قطاع الآثار والمتاحف، الهيئة العامة للسياحة والآثار، ص٩- ٣٦.
- لنتون، رالف، (١٩٦١م)، شجرة الحضارة، ترجمة: أحمد فخري، القاهرة- جمهورية مصر العربية، مطبعة مصر.
- سعاد علي حسن شعبان،(١٩٧٩م) "مجتمعات الصيد والقنص الأفريقية"، مجلة الدراسات الأفريقية، العدد الثامن، جامعة القاهرة- جمهورية مصر العربية معهد البحوث والدراسات الأفريقية، ص١٨٠- ٢٢٩.
- الدويش، سلطان مطلق، (٢٠٠٨م)، العصور الحجرية في دولة الكويت، مداولات اللقاء العلمي السنوي التاسع لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي: دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي عبر العصور، المملكة العربية السعودية.
- الناصري، سيد أحمد علي، (١٩٩٠م)، المصريون والعرب وعلاقاتهم بأفريقيا في العصور القديمة، القاهرة- جمهورية مصر العربية، دار النهضة العربية.
- عبده، طلعت أحمد، (١٩٩٧م)، جغرافية شبه الجزيرة العربية، الرياض- المملكة العربية السعودية، دار الخريجي للنشر والتوزيع.
- كباوي، عبد الرحمن بكر، (١٩٩١م)، آثار المملكة العربية السعودية، جـ١، الرياض- المملكة العربية السعودية، إصدار المهرجان الوطني للتراث والثقافة، ٧٨.
- المعمري، عبد الرزاق بن راشد، (٢٠٠٥م)، "النمط الأثري الصحراوي وعلاقته بمرتفعات

جنوبي الجزيرة العربية وبتهامة وعمان"، أدوماتو، العدد الثاني عشر، الرياض- المملكة العربية السعودية، مركز عبد الرحمن السديري، الثقافي، ص٧- ٢٨.

- عبد الله، عبد القادر محمود وآخرون، (١٩٨٤م)، دراسات تاريخ الجزيرة، الكتاب الثاني: الجزيرة العربية قبل الإسلام، الأبحاث المقدمة للندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية في ٥-١١ جمادى الأولى ١٣٩٧ه الموافق ١٣- ١٩ أبريل ١٩٧٩م، قسم التاريخ وقسم الآثار والمتاحف، كلية الآداب، جامعة الرياض (جامعة الملك سعود)، الرياض- المملكة العربية
- السعودية.
- الغبان، علي بن إبراهيم وآخرون، (٢٠١٠م)، طرق التجارة القديمة، روائع آثار المملكة العربية السعودية، باريس، متحف اللوفر.
- بكير، محمد الفتحي، (٢٠٠٠م)، الجغرافيا التاريخية دراسة أصولية تطبيقية، الإسكندرية- جمهورية مصر العربية، دار المعرفة الجامعية.
- عصفور، محمد أبو المحاسن، (١٩٨٧م)، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، بيروت- لبنان، دار النهضة العربية.
- هوساوي، سلمى محمد بكر، (٢٠١٧م)، تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم، الرياض- المملكة العربية السعودية، دار جامعة الملك سعود للنشر.
- هويلن، نورمان. م، وبيز، ديفيد دبليو.، (١٩٩٠م)، "التفاوت في الأدوات الحجرية ثنائية الوجه العائدة للعصرين الأولدواني المتطور والآشولي في المملكة العربية السعودية"، أطلال، العدد الثالث عشر، حولية الآثار العربية السعودية، الرياض- المملكة العربية السعودية، قطاع الآثار والمتاحف، الهيئة العامة للسياحة والآثار، ص٥٥- ٦٢.

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

-Andrew, L., (2011), Did Modern Humans Travel .Lawler Out of Africa Via Arabia?.

-Baumann, H., & Others., (1940), Völkerkunde Von Africa, Essen.

-Beinart, W., (2003), History and African Environments, Oxford.

-Beyin, A., (2006), The Bab al Mandab vs the Nile- Levant: An Appraisal of the Two DispersalRoutes for Early Modern Humans Out of Africa, Afr Archaeol Rev, New York.

-Brown, G. F., (Oct., 1970), Eastern Margin of the Red Sea and the Coastal Structures in Saudi Arabia, PTRS, Vol. 267, No. 1181, A Discussion on the Structure and Evolution of the Red Sea and the Nature of the Red Sea, Gulf of Aden and Ethiopia Rift Junction, pp. 75- 87.

-Bower, J., (March., 1991)The Pastoral Neolithic of East Africa, JWP, Vol. 5, No. 1, pp. 49- 82.

-Chami, F. A., (2001), Chicken bones from a Neolithic limestone cave site, Zanzibar: Contact between East Africa and Asia, University of Dar-es-Salaam.

-Chami, F. A., & Amandus, K., (2003), "Neolithic Pottery Traditions from the Islands, the Coast and the Interior of East Africa", AAR, 20, No.2, , pp. 65- 80.
-Clark, J. D., (Jun., 1975), Africa in Prehistory: Peripheral or Paramount?, Man, Vol. 10, No. 2, pp. 175- 198.

-Clark, J. D., (1988), He Middle Stone Age of East Africa and the Beginnings of Regional Identity, JWP, Vol. 2, No. 3, pp. 235-305.

-Cole, S., (Dec., 1954) "The Prehistory of East Africa", AA, Vol. 56, No. 6, Part. 1, pp. 1026- 1050.

-David, P., (2005), Human Technical Behavior in the African Middle Stone Age: The Lithic Assemblage of Porc- Epic Cave (Dire Dawa, Ethiopia), AAR, Vol. 22, No. 4, pp. 177- 197.

-Derricourt, R., (2005), Getting "Out of Africa": Sea Crossings, Land Crossings and Culture in the Hominin Migrations, JWP, Vol. 19, No. 2, pp. 119- 132.

-Fuller, D. Q., (2006), "Agricultural Origins and Frontiers in South Asia: A Working Synthesis", JWP, Vol. 20, No. 1, pp. 1- 86.

-Gabel, C., (1965), African Prehistory, BRA, Vol. 4, pp. 40- 83.

-Khalidi, L., & Others., (2013), Considering the Arabian Neolithic through a reconstitution of interregional obsidian distribution patterns in the region, Arab. Arch. epig**,** Vol. 24, pp. 59- 67.

-Kusimba, C. M., & Kusimba, S. B., (June 2005), East African Archaeology, UPMAA, Vol. 22, No. 2, Philadelphia, pp. 105- 109.

-McClure, H., (1984), Late Quaternary Palaeoenvironments of the Rub Al Khali, A thesis submitted for the degree of Doctor of philosophy, in the university of London.

-Michael, D., (2009), The Evolution of Human Populations in Arabia, Research Laboratory for Archaeology University of Oxford.

Mitchell, P., & Others., (March 2005), Researching Africa's Past: AAR, Vol. 22, No. 1, Oxford University School of Archaeology, pp. 55- 59.

Peninsula: Occupations, Adaptations, and Dispersals, -Petraglia, M. D., , (June., 2003), The Lower Paleolithic of the Arabian JWP, Vol. 17, No. 2, pp. 141- 179.

-Philipson, D., (1993), African Archaeology, Cambridge University Press, Cambridge.

-Robertshaw, P. T., (Jun., 1983), Archaeological Explanation in East Africa, RAIN, No. 56, pp. 4-5.

-Stahl, A. B., (2005), African Archaeology: A Critical Introduction, AAR, Vol. 22, No. 4, pp. 231- 235.

-Tosi, M., (1986), The Emerging Picture of Prehistoric Arabia, ARA, Vil. 15, pp. 461- 490.

-Yosef, O. B., (1987), Pleistocene Connexions between Africa and Southwest Asia: An Archaeological Perspective, AAR, Vol. 5, pp. 29- 38.

-Yosef, O. B., (1994), The Lower Paleolithic of the Near East, JWP, Vol. 8, No. 3, , pp. 211- 265.

The relationship of Southwest Arabia with East Africa Until the end of the Neolithic period

Muhammad Taha Muhammad al-Amir
PHD Degree - Department of History and Civilization - Division of Ancient History - Faculty of Arabic Language in Cairo - Al-Azhar University - Egypt
alamer2951982@gmail.com

Prof. Dr. Aisha Mahmoud Abdalaal
Professor of Egyptology–History Department
Faculty of Women for Arts, Science & Education - Ain Shams University - Egypt
Aisha_abdelaal@women.asu.edu.eg

Dr. Ahmed Refaat Abd aljawad
Assistant Professor of History and Civilization of Egypt and the Ancient Near East - Department of History and Civilization - Faculty of Arabic Language in Cairo - Al-Azhar University – Egypt
dr.ahmed.refat2020@gmail.com

Prof. Dr. Talaeat Ahmed Muhammad Abdo
Professor of Physical Geography - Department of History and Civilization - Faculty of Arabic Language in Cairo - Al-Azhar University - Egypt
Talaatabdo@gmail.com

Abstract

The Arabian Peninsula cannot live in a complete isolation in the course of prehistory ages owing to its unique geographical position; it has a close connection with its neighbors inside and outside the Arabian Peninsula.

External communications between the Arabian Peninsula and the neighboring civilizations started during the period between 5000 to 3000 years BC. At a time when the eastern region was strongly connected to the Mesopotamian civilization (Al'ubaid culture), we find that the western region also established early connections with the Nile Valley by land through the Sinai desert, in addition to the sea route, as well as the relations of the southwestern region.

In the Paleolithic age, in its both Oldwaniya and Acholian phases, the archaeological indications belonging to the southwestern region of the Arabian Peninsula conformed with what is known in East Africa where evidence of the spread of the oldest human races was found. Here, we can note the role played by the southwestern Arabian Peninsula as a crossing for the early human population's movement between East Africa and Asia.

Keywords: East Africa - Stone Age - Arabian Peninsula - African Civilization.